العولمة الثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للشباب

بلالي عبد المالك
قسم علم الاجتماع
جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2-

الملخص:

تشتمل هذه الورقة على تحديد مفهوم الهوية الثقافية ومدى تأثرها بالعولمة وخاصة الثقافية منها، مبرزةً وسائلها من تكنولوجية سمعية، وسمعية بصرية، وشبكة عنكبوتية (أنترنت)، والسلع الاستهلاكية المروجة لثقافة العولمة، وتسخير القوى العلمانية الداخلية من الكتاب ورجال الإعلام ورجال التربية لصالح الأجانب بالإضافة إلى اللغة المستعملة. وصولا إلى الجوانب المتأثرة بهذه العولمة الثقافية سواء على المستوى العقائدي واللغوي، أو على المستوى التاريخي والقيمي، والاقتصادي والاجتماعي، والإيديولوجي أو الثقافية للشباب (الذي يعتبر من أهم العناصر التي يستند عليها الغرب في محاربته لنا، منطلقا من كون اللغة وعاء الثقافة وهذه الأخيرة هي الوسيلة التي تمكن منها الآخرون في غزونا واختراقنا فكريا وبهذا يمكن إبراز الوسائل والتقنيات التي استندوا لها لغرض ذلك، أثرها على مجتمعاتنا وخاصة الشباب.

الكلمات الدال:

العولمة الثقافية cultural mundialization
الهوية الثقافية cultural identity ، الشباب youth.

مقدمة:

انطلاقا من مقولة بيتر أل. بيرغر صاحب كتاب (عولمات كثيرة مع صموئيل هنتنغتون): "أن المستقبل يشهد حربا ثقافية بامتياز"، وفي نفس الصدد يرى صموئيل هنتنغتون في كتابه (صدام الحضارات) أن "الصراعات المقبلة في العالم الجديد لن تقوم على أسس إيديولوجية أو اقتصادية، بل إن مصادر الصراع ستكون بالأساس ثقافية. وفي هذا الصدد يقول السياسي الفرنسي بينو: "أن فرنسا خسرت إمبراطوريتها الاستعمارية وحان الوقت لتعويضها بإمبراطورية ثقافية".

ومن خلال هذه الأطروحات لمفكرين كبار تعرفهم الساحة الدولية ، وهم يعترفون بأن المستقبل القريب والبعيد يشهد نوعا آخر من الحروب وهي الحروب الثقافية، التي تسعى لغزو العقول وليس غزو الأراضي والشعوب، حيث تفطن العالم الغربي أخيرا بعد خسائر مادية وبشرية جمة تكبدها من خلال رعونته باستخدامه القوة العسكرية للسيطرة والاستحواذ، أن المجتمعات تتحرر من جديد طال الزمن أو قصر، ولهذا السبب لجأ إلى الحرب الناعمة التي تكلفه جزءا يسيرا من الموارد المادية التي سرعان ما يسترجعها من دون خسائر بشرية تذكر وتكسبه في الوقت نفسه أوطانا ومجتمعات بجهد يسير؛ إنها الحرب الأخطر على الإطلاق، وجاءت تحت مسمى (العولمة الثقافية) التي تسعى

إلى احتكار المعلومات ووسائل الاتصال العابرة للحدود الوطنية للشعوب وللحدود الشخصية للأفراد، وهي غزو ثقافي يمس ذاتية الأفراد والأمم ويحمل خطابا ثقافيا خاصا لشعوب العالم مفاده أن لا مجال للتعدد الثقافي وإنما البقاء للثقافة المعولمة المهيمنة على كل الثقافات، وتتجلى كذلك في وسائل هذه العولمة في جانبها الثقافي وما تريده من ثقافات الشعوب الأخرى، وتكمن خطورة العولمة الثقافية في مدى تأثيرها على الهويات الثقافية للمجتمعات.

فالهوية الثقافية بما تحمله من قيم اللغة والدين والعادات والتاريخ والموطن والتقاليد، تتعرض للتشويه والازدراء خاصة في الدول والشعوب المستضعفة، ومنها الوطن العربي والإسلامي، وسيظل العالم الإسلامي في خطر جراء هذا التكالب عليه من قبل الغرب والدول العظمى، فقد تتخلخل قيم الانتماء والوطنية، ويبرز التشكيك في الأصل وفي الوجود ذاته، وقد يفرّط الإنسان في دينه ولغته ظنّا منه أنهما سبب تخلفه وانحطاطه، كما تظهر النزاعات العرقية والمذهبية خاصة في غياب أفق مستقبلي واضح، وهنا تظهر نصيحة صموئيل هنتنغتون للساسة الغربيين بقوله: "إن الخطر المستقبلي سيكون من غير العالم اليهودي والمسيحي" وهو يقصد العالم الإسلامي والكونفشيوسي، ومن خلال ما تقدم تبادر لنا السؤال التالي: ما العولمة الثقافية؟ وما آثارها على الهوية الثقافية للأمم وخاصة شباب الأمة العربية والإسلامية؟ وستكون الإجابة عن ذلك في ثلاثة محاور هي: تحديد المفاهيم -التحليل السوسيولوجي للعولمة الثقافية -آثار العولمة على الأمة العربية والإسلامية.

المحور الأول: تحديد المفاهيم.

1- الهوية الثقافية:

تشكل الهوية الثقافية على المستويين الوطني والدولي واحدة من أهم الحاجات النفسية غير المادية، ويمكن أن تكون مصدرا من مصادر الصراع المتزايد داخل المجتمعات وبين مجتمع وآخر، فنحن نواجه صراعا جديا في مجال القيم، ويوجد نوع من التحمّل ولكن لا يوجد تقبل صاف أو ترحيب خالص بقيم الجنوب، ذلك لأنه لا يوجد جهد جاد لمحاولة فهمها[1].

فهي تلك المبادئ الأصلية السامية والذاتية النابعة من الأفراد أو الشعوب، وتلك ركائز الإنسان التي تمثل كيانه الشخصي الروحي والمادي بتفاعل صورتي هذا الكيان، لإثبات هوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب، بحيث يحس كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما يخصصه ويميزه عن باقي المجتمعات الأخرى. والهوية الثقافية تمثل كل الجوانب الحياتية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية والمستقبلية لأعضاء الجماعة الواحدة التي ينتمي إليها الأفراد بالحس والشعور الانتمائي إليها، وهي ذاتية الإنسان ونقاؤه وجمالياته وقيمه، بحيث تعتبر الثقافة هي المحرك لأي حضارة أو أمة

في توجيهها وضبطها أي هي من تحكم حركة الإبداع والإنتاج المعرفي[2].

وأنها أهم السمات المميزة للمجتمع، فهي التي تجسد الطموحات المستقبلية في المجتمع، وتبرز معالم التطور في سلوك الأفراد وإنجازاتهم في المجالات المختلفة، بل تنطوي على المبادئ والقيم التي تدفع الإنسان إلى تحقيق غايات معينة، وعلى ضوء ذلك فالهوية الثقافية لمجتمع ما لابد أن تستند إلى أصول تستمد منها قوتها، وإلى معايير قيمية ومبادئ أخلاقية وضوابط اجتماعية وغايات سامية تجعلها مركزا للاستقطاب العالمي والإنسان[3].

لذلك يدق الباحثون ناقوس الخطر إذ أن الهوية الثقافية للمجتمعات قد تزول، ولا نجد في المستقبل تراثا غنيا وثريا بل نجد ثقافة واحدة تشمل على معايير واحدة، وقيم موحدة، وفكرا وطموحا وإبداعا واحدا، ولذا جاءت نداءات من مصادر مختلفة ومنها اليونسكو محذرة من هذا المستقبل الذي يبدو في الأفق غامضا وصعبا إذا تلاشت الهويات الإنسانية.

ومن هذه التحذيرات صموئيل هنتنغتون بقوله: "العالم معرض لأزمة هوية شاملة، حيث كل الشعوب والأمم تسعى للإجابة عن السؤال: من نحن؟ ويجيبون بالرجوع إلى كل ما هو عزيز عليهم، أجدادهم، دينهم، لغتهم، تاريخهم، قيمهم، عاداتهم، مؤسساتهم، وبالتحامهم في جماعات ثقافية على شكل عشيرة، مجموعة أثنية، مجموعة دينية، أمة، وأخيرا على شكل حضارة"[4].

وفي هذا السياق يقول برهان غليون:" لا تستطيع الجماعة أو الفرد إنجاز مشروع مهما كان نوعه أو حجمه، دون أن تعرف نفسها وتحدد مكانها ودورها وشرعية وجودها كجماعة متميزة، فقبل أن تنهض لابد لها أن تكون ذاتا"[5].

فالهوية الثقافية هي المميزة التي يمكن أن تميز المجتمعات بعضها عن بعض، سواء أكان في الجانب الاقتصادي أو العقائدي أو السياسي أو الاجتماعي أو الإيديولوجي، وهي الاعتراف والاعتزاز بالانتماء والأصل بغض النظر عن الواقع (سواء أكان مزدهرا أو مأساويا)، كما تعبر عن الطموح المستقبلي الذي يراود المجتمعات البشرية التي تطمح أن تقود العالم مؤمنة بدورة الحضارة التي تنشأ هنا وهناك.

2- العولمة الثقافية:

العولمة الثقافية هي أصل العولمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، لأن الثقافة هي التي تهيئ الأذهان والنفوس لقبول تلك الأنواع الأخرى، وتجعل الناس مستعدين للانضمام إلى الأنظمة والمؤسسات والاتفاقيات الدولية، وتعتبر الثقافة عنصراً أساسيا في حياة كل فرد وكل مجتمع وكل أمة، وهي تشمل التقاليد والمعتقدات والقيم وأنماط الحياة المختلفة، والفنون والآداب وحقوق الإنسان[6].

وتعني انتقال تركيز اهتمام الإنسان ووعيه من المجال المحلي إلى المجال العالمي، ومن المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي، ففي ظلّ العولمة الثقافية يزداد الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشرية، وتبرز بوضوح الهويّة والمواطنة العالمية التي ربّما ستحلّ تدريجيا، وربّما على المدى البعيد محلّ الولاءات الوطنية، أي أنّ الإنسانية ستتعوّد النظر إلى ذاتها ككتلة واحدة ذات مصير واحد وبقاء وفناء واحد، ويشترك بعضها مع البعض الآخر في قيم عميقة تتخطى كل الخصوصيّات الحضارية والثقافية، ففي ظل العولمة الثقافية يكتشف الإنسان بعده العالمي، ويتعرّف على هويّته الإنسانية أكثر من أي وقت آخر. لكن بروز الهويّة العالمية في ظل العولمة لا يعني تلقائيا تراجع أو تهميش أو نفي الهويّة الوطنية للفرد، إذ يجزم البعض بأن العولمة لا تهدّد الهويّة[7].

بل هي بروز الثقافة كسلعة عالمية تسوق كأي سلعة تجارية أخرى، ومن ثم بروز وعي وإدراك ومفاهيم وقناعات ورموز ووسائط ثقافية عالمية الطابع، وهي محاولة لوضع شعوب العالم في قوالب فكرية موحدة وذلك لسلخها عن ثقافتها وموروثها الحضاري، فالعولمة نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن، نظام يريد رفع الحواجز والحدود، إنه نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية للأمة من أي محتوى، ويدفع إلى التفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم اللا أمة واللا وطن واللا دولة[8].

لكن من أخطر أهداف العولمة ما يعرف بالعولمة الثقافية، التي تتجاوز الحدود التي أقامتها الشعوب لتحمي كيان وجودها، وماله من خصائص تاريخية وقومية وسياسية ودينية، ولتحمي ثرواتها الطبيعية والبشرية، وتراثها الفكري الثقافي، حتى تضمن لنفسها البقاء والاستمرار والقدرة على التنمية، ومن ثمّ الحصول على دور مؤثر في المجتمع الدولي، فالعولمة الثقافية تقوم على تسييد الثقافة الرأسمالية لتصبح الثقافة العليا، كما أنّها ترسم حدوداً أخرى مختلفة عن الحدود الوطنية مستخدمة في ذلك شبكات الهيمنة العالمية على الاقتصاد والأذواق والثقافة. هذه الحدود هي: "حدود الفضاء، والذي هو بحق وطن جديد لا ينتمي لا إلى الجغرافيا ولا إلى التاريخ، هو وطن بدون حدود، بدون ذاكرة، إنّه وطن تبنيه شبكات الاتصال المعلوماتية الإلكترونية"[9].

وفي ضوء التعريفات السابقة يمكن تعريفها: العولمة الثقافية تعني إضفاء ثقافة عالمية واحدة على المعمورة، بغية القدرة على التحكم فيها، فيمكن لكل الشعوب أن تتنفس ثقافة واحدة وموحدة ويسود الاندماج الاجتماعي العالمي من فكر وسياسة واقتصاد ونمط معيشي واستهلاكي، فلا مجال للثقافات الفرعية بلغاتها وأديانها وسلوكياتها، فبإمكان الثقافة العالمية الواحدة أن تحل مشاكل الآخرين إذا تم استيعابها وعدم مواجهتها، هكذا يزعم أهل هذه الترويجات للعولمة الثقافية، وهكذا يبدو للمستضعفين على الأرض.

3-الشباب:

المرحلة التي يكون فيها الإنسان قادرا ومستعدا على تقبل القيم والمعتقدات والأفكار والممارسات الجديدة التي من خلالها يستطيع العيش في المجتمع والتفاعل مع الأفراد والجماعات[10]. وتبدأ هذه المرحلة من بدء البلوغ وظهور علاماته الأولية والثانوية إلى طور النضج والتكامل والقدرة على تحمل المسؤوليات والأعباء الاجتماعية كاملة ويحدد هؤلاء المفكرون فترة الشباب من س-12-25-سنة للغالبية من الشباب من أبناء المدن الذين ساروا سيرا طبيعيا في نموهم وتعليمهم[11].

فالفترة الشبابية تمتاز عن غيرها بالمستوى الصحي القوي وبما يماثله من القدرة على تحمل المسؤوليات الاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى السن الذي يتراوح بين فترة البلوغ إلى فترة الكهولة.

المحور الثاني: التحليل السوسيولوجي للعولمة الثقافية

كما أن للعولمة مظاهر ووسائل خاصة بها، فإن للعولمة الثقافية كذلك مظاهر ووسائل وتتجلى في:

1- التقدم التكنولوجي والتقني:

إن أثر التقدم التكنولوجي في طمس الهوية الثقافية للأمم لا يختلف في طبيعته عن أثر الاعتداء على هوية الفرد داخل الأمة الواحدة، فالأثر بشع في الحالتين والخسارة فادحة، وإن كانت تستخدم في صفة أسماء براقة، فما يرتكب ضد هوية الفرد داخل الأمة الواحدة، يحدث تحت شعار زيادة الرفاهية الاقتصادية، وكأن الرفاهية الانسانية يمكن تجزئتها إلى جزء اقتصادي وغير اقتصادي، وما يرتكب ضد الهوية الثقافية للأمم يحدث تحت شعار التنمية الاقتصادية، وكأن نهضة الأمم لا تقاس بمتوسط دخل الفرد من السلع والخدمات[12].

إن التقدم التكنولوجي بقدر ما هو إيجابي للبشرية حيث يجعلها تعيش حياة رغيدة دون صعوبة على عكس ما كانت عليه في السابق، بقدر ما تحمله من سلبيات وتتمثل في وسائل الإنتاج المختلفة التي أبعدت الناس عن بعضهم بعدما كانوا يعملون في جو واحد أكسبهم رابطة إنسانية مكنتهم من التآخي، لكن التكنولوجيا المتقدمة جعلت الإنسان كالآلة يعمل وحده، وهذا مما يوحي أن العولمة الثقافية التكنولوجية أدت إلى حدوث شرخ اجتماعي في البنيان وبالتالي أثر على الهوية.

2- وسائل الإعلام:

إن الدول والمنظمات الداعية والعاملة لفرض ظاهرة العولمة؛ تعمل على استثمار منجزات ثورة الاتصالات والتقدم التقني والتكنولوجي في نشر ثقافة جماهيرية واحدة، وبقوالب محددة مسبقة الصنع، عمودها الفكري الاستهلاك ،وهذا ما نجده في المحطات الفضائية التي من خلالها يستنتج المراقب أنها مخصصة للإعلان وترويج البضائع الاستهلاكية، فالإعلان أصبح سيد الموقف في كل الفضائيات، وشكلت المواد الإعلانية هذا الهاجس،

فهي المسيطر والبوصلة التي توجه الأجيال الجديدة في التفكير والتعامل والبيع والعرض والترويج وأسلوب الحياة بكاملها، وبذلك فإن العولمة ستؤدى إلى تغيير في القيم الحالية والخصوصية الموجودة في مجتمعاتنا وتؤدي إلى حدوث تغيرات اجتماعية عميقة[13].

وقد حصل الكثير من هذه التغيرات في وقت واحد، مما دفع إلى الأمام عملية العولمة التي سبق أن وسمت السنوات الأخيرة من القرن العشرين بعمق وفي حين إنها خلقت فرصاً لم يكن يحلم بها بعض الأفراد والأقطار، فإن قوى العولمة هذه قد أسهمت في الوقت ذاته، وفي كثير من بلدان العالم، في زيادة الفقر، وعدم المساواة، وعدم الأمان في العمل، كما أسهمت وأضعفت الانتماء والقيم الراسخة الموروثة[14].

إن البرامج التلفزية الغربية بما تحمله من دقة في التمثيل والتصوير والترويج ،لها أثر على البنيان الفكري للإنسان العادي والمثقف على السواء، حيث تعمل هذه البرامج على إغراء متتبعيها بالصورة والصوت والأداء ،وهوليود خير دليل على ذلك، هذه البرامج ليست آنية سرعان ما تمحي، بل على العكس فهي تسيطر على العقول خاصة الضعيفة منا وتجرها إلى حلقاتها، فيصبح الشاب عبر العالم والمسلم على وجه الخصوص يمارس نفس السلوكات التي رآها في هذه الأفلام والمسلسلات، ويعيش هذا الشاب في حالة اغتراب فعلي كحال شبابنا اليوم بلباس السراويل المتدلية، وتسريحة الشعر الديكية، أما بالنسبة للبنات فالأزياء المعروضة في العالم تريد الحصول عليها وبأي طريقة كانت، ولا يهمها الدين والقيم والعادات المجتمعية، فتمردت على كل شيء حتى نفسها، لذا نقول إن العولمة الثقافية أثرت بشكل كبير وجلي على شبابنا، فالقلة مازالت محافظة على قيمها وعاداتها وتقاليدها، وصدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: "القابض على دينه كالقابض على الجمر".

3-شبكة الأنترنت:

أصبحت هذه الشبكة وسيلة هامة للعولمة الثقافية بما تحمله من معلومات وأفلام وصور وأفكار ثقافية تطيح بمعالم الهوية الثقافية الخاصة بالشعوب والأفراد، خاصة على تلك الثقافة المادية التي تسيطر على الشبكة والإطاحة بالأخلاق الفاضلة من خلال المواقع الإباحية، إضافة إلى الدعاية السلبية التي من شأنها قلب الوضع الثقافي، وزرع اليأس في البلدان وذلك بتغيير الرأي العام وإقامة النزاعات بين الشعوب[15].

إن الشبكة العنكبوتية التي ظهرت نتيجة تطور العولمة لها العديد من الإيجابيات، لكن لها سلبيات كبيرة خاصة في غياب الوعي الجمعوي الذي تشكو منه الأمة، كالجهل، وقلة الفطنة والحيلة، أو بدواعي الحرية وترك الشاب يبني مستقبله، فأصبح الطالب والمتسرب على حد سواء يجلسون في مقاهي الانترنت للتواصل والتعارف العالمي، ومشاهدة ما لا يليق بقيمنا وأخلاقنا وأدبنا، وتضييع وقته وماله في هذه المحادثات والمشاهدات ،وبالمقابل نلاحظ أن المستوى التعليمي قد تراجع

وانحطت أخلاقه، وأصبح أسير هذه الشبكة التي لا تبتعد عن خياله حتى في نومه، إنه الإدمان ويا ليته إدمان إيجابي.

4- تسخير القوى العلمانية الداخلية من الكتاب ورجال الإعلام، ورجال التربية لصالح العولمة، وتجنيد المفكرين وهؤلاء الكتاب يروجون للأفكار العولمية والكونية، ويؤكدون أن الشعور بالولاء لأمة أو وطن قد أصبح من مخلفات الماضي التي يحسن إهمالها ونسيانها. ويؤيدون التدخل الأجنبي في التفكير وطرائق الحياة على شعوب العالم، والتدخل في المناهج التعليمية في الدول المختلفة ومنها الإسلامية، لتغيير عقول الناشئة، وتذويب هويتهم الثقافية والاعتقادية، ومن ثم تهيئتهم لتقبل ما تبث وسائل الإعلام الأمريكية من قيم مادية هابطة[16].

وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة: وهي تلك الجرائد والصحف اليومية والإذاعات السمعية وما لها من تبليغ فكري ثقافي معين بالتأثير على الهوية الثقافية للشعوب خاصة بسيطرة الغرب عليه، بالإحاطة بعالمية الثقافة.

ومن المعروف أن المثقف بقدر إيجابيته المتمثلة في توعيته للمجتمع وتعليمه وتيسيره لصعوبة الحياة، بقدر خطورته، وهذا يتمثل في شقه السلبي حيث يستطيع كذلك إقناع الناس بما هو مقتنع به، وخاصة الذين تأثروا بالفكر الغربي وعادوا إلى بلدانهم. فبإمكانهم تغيير نمط تفكير المجتمع تغييرا جذريا، ففي المجتمع الجزائري قام الشيعيون بنقل أفكارهم وشهواتهم ونمط معيشتهم إلى المجتمع الجزائري واستطاعوا تغيير جزء منه، بالإضافة إلى العلمانيين الذين روجوا لأفكارهم التي تلقوها في بلاد الغرب خاصة فرنسا، ومازالوا يروجون لأطروحاتهم الفكرية حتى اليوم .

5- إن اللغة أداة مهمة اعتمدتها قوى العولمة في بسط هيمنتها الثقافية، ففي هذا الجانب يشير الكاتب صموئيل هنتينغتون إلى أن العالم يتوجه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم اللغوية والرمزية هي الحدود القتالية. ويذهب السياسي الفرنسي "بينو" في نفس الاتجاه عندما يقول لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية، وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية.

ويشير هنتنغتون وبيتر أل بيرغر في كتابهما عولمات كثيرة: أن الناس لا يستخدمون اللغة ببراءة، فكل لغة تحمل معها شحنة ثقافية من المعاني المعرفية والمعيارية وحتى العاطفية، ناهيك عن جملة المعتقدات والقيم التي يتم الترويج لها عبر وسائل الإعلام والاتصالات الجماهيرية الأمريكية.

6- إن كل منشور يستدعى من كاتبه الحيطة والحذر فكل ما يكتبه له أثر حتى ولو في شريحة صغيرة من الناس، فالكتابات لها الأثر العميق في عقول الناس وعواطفهم، خاصة إذا كان الكاتب ذا سمعة مرموقة في أوساط المثقفين والمبدعين- وخاصة لدى شعوب العالم العربي والإسلامي الذين يؤمنون بالأشخاص قبل الأفكار، فيعتبرون الحكام عبارة عن "سوبرمان" يعرف كل شيء، والكاتب لا

يخطئ فهو على حق إلى يوم الدين-فبإمكانه الترويج لسموم قاتلة تؤدى إلى تخريب عقول الناس ومعتقداتهم، مثل الملحدين والشيوعيين والعلمانيين والمتسلقين للأحزاب والجمعيات بدعوى حماية الدين الإسلامي من الهجمات، فهؤلاء يشكلون خطرا على القيم المجتمعية خاصة إذا كان تشبعهم بالقيم الغربية الأمريكية والفرنسية كبيرا.

7- التوسع في قبول الطلاب الأجانب في الجامعات والمعاهد الغربية، ففي أمريكا وحدها أكثر من عشرين ألف جامعة ومعهد، مهمتها القيام بالبرامج الثقافية التي ترسخ لديهم الثقافة الغربية، وتستخدمهم وسائل إضافية للعولمة، فقد نجحت أمريكا في تطوير صناعة ثقافية موجهة لشريحة الشباب داخل وخارج أمريكا، وهم الشريحة الأوسع على مستوى العالم، وهم رجال المستقبل الذين سيشغلون في مجتمعاتهم مواقع التأثير والنفوذ، ولقد فتحت أمريكا معاهدها وجامعاتها أمام الطلبة من أنحاء العالم، وهؤلاء يشكلون النخب في بلدانهم بعد عودتهم إليها بما يحملون من الأنماط الثقافية وطرق التفكير المقتبسة من أمريكا[17].

إن الغربيين يسعون لتكوين بني جلدتنا تكوينا ثقافيا حتى يتسنى لهم بعد رجوعهم لأوطانهم تنفيذ هذه الأفكار، فهم بذلك يقدمون خدمات جليلة للغرب بدون عناء وتعب الاحتلال، بل وجد الغرب أن الاستعمار الثقافي أفضل وأيسر لهم، ونتائجه مربحة أكثر من الاستعمار العسكري القديم، ففي هذه الحالة يكسبون شريحة كبيرة من المجتمعات وذلك بتغيير المنظومات التربوية والاقتصادية والثقافية والإيديولوجية، وبالتالي تغيير نمط تفكير المجتمعات تفكيرا جذريا. ويقول ديغول "زرعت جيلا في الجزائر يينع بعد 30 سنة، ويقول أيضا زرعت جيلا في الجزائر سيؤمن بفرنسا أكثر من إيماننا نحن بها، وها هو حالنا اليوم نركض إلى فرنسا للاستجمام والراحة والسياحة ونعقد الصفقات تلو الأخرى من أصغر فردفي المجتمع إلى أكبر مسؤول في البلد، ويضيف ديغول:" إننا لا نترك الجزائريين لوحدهم لأن قلوبنا وعقولنا معهم، فهم مثلنا يتكلمون لغتنا ويتنفسون ثقافتنا"، ومن خلال هذا القول نتأكد واقعيا صحة قوله، فخطاباتنا وتعاملاتنا الإدارية تتم بالفرنسية، وكل صغير أو كبير من شؤوننا يتم اللجوء فيه إلى فرنسا وهذا بعد 54 سنة من الاستقلال!

8- **لغة القوة:** إن عامل القوة مهم لفرض السيطرة على الآخرين سواء كانت هذه القوة عسكرية اقتصادية، تجارية، فنية، سلوكية، دينية، فالدول المهيمنة تستطيع إيصال ثقافتها إلى الشعوب المستضعفة أو الدول الضعيفة والمتخلفة، والمصرة على التخلف، لأن هذه الدول المصرة على التخلف لديها عقدة التطور والتفوق، فهي تشعر في كيانها أنها مستصغرة ولا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تخطو ولو خطوة واحدة، فهمها الوحيد إسكات شعوبها بأي طريقة كانت، ولا تهتم لما يحصل في العالم، بل تجتر كل ما يبعث إليها من صناعة وعلم ومعرفة دون مناقشة مخاطرها، فعامل القوة كان له أثر كبير على كينونتنا وهويتنا التي تكاد أن تفقد ضمن هذه

المتغيرات العالمية السريعة، بل سارعنا إلى تقليد ذلك خوفا وطمعا وتمنيا أن يرضوا عنا، أو كدنا لا نصدق هذا التغير السريع في كل شيء ونحن أسرى ديارنا لا نستطيع أن نعمل شيئا، وقد صدق ابن خلدون لما قال: "المغلوب مولع بتقليد الغالب".

المحور الثالث: آثار العولمة الثقافية على الهويات الثقافية للشباب خاصة العربي والمسلم

تأثرت الشعوب الضعيفة والمستضعفة مع دولها النامية والمتخلفة ومنها المصرة على التخلف بالعولمة بمختلف فروعها، ولعل العولمة الثقافية هي الأخطر على الإطلاق، لأنها تمس الفكر والعقل وتعمل على تغيير ذهنيات الأفراد والمجتمعات، خاصة وأن وسائلها المستخدمة والقوية تستطيع الولوج إلى قلوب الناس ثم عقولهم، وقد استطاعت العولمة الثقافية فعلا الاستحواذ على عقول شريحة كبيرة من المجتمعات خاصة المستضعفة منها وجرتهم إلى أهدافها، فأثرت على قيمهم وتاريخهم، وثقافتهم وإيديولوجياتهم، وقيمهم الروحية والاجتماعية والاقتصادية ....ويمكن ذكر ذلك في التالي:

- قيميا وتاريخيا:

تعد العولمة استعمارا ثقافيا جديدا، لأنها تهدف إلى إحداث خلل في الهويات الثقافية للشعوب، بنشر وهيمنة العولمة الثقافية الأحادية القطب بهدف الاستيلاء ونهب إمكانات الشعوب وحضاراتها، خاصة الفقيرة، وبالتالي فهي امتداد للاستعمار التقليدي الثقافي القديم الذي ما انفك يسيطر على البلدان عسكريا حتى غير وجهته الأكثر ضمانا بلجوئه إلى الاستعمار الثقافي الذي يهدف إلى تغيير أفكار الناس وانتماءاتهم الدينية والمعرفية والسياسية، فبعد تغلغل هذه الأفكار واستحواذها على عقول الناس امتدت لتطال ثقافات الشعوب والهوية القومية الوطنية، وترمي إلى تعميم أنموذج من السلوك وأنماط أو منظومات من القيم وطرائق العيش والتدبير، وهي بالتالي تحمل ثقافة غربية تغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى، ولا يخلو ذلك من توجه استعماري جديد يتركز على احتلال العقل والتفكير، ويتوجه الأمر خاصة إلى الذين يسيطرون على مقاليد السلطة في بلدانهم الأصلية حيث يعمدون لتغيير البرامج التربوية والاقتصادية والثقافية لبلدانهم بغية إرضاء الدول القوية التي رسخت فيهم هذه الأفكار.

إنّ أخطر ما في العولمة أنَّها تنشر أفكاراً وسلوكيات من شأنها تحطيم الولاء للقيم التراثية والدينية الأصلية، والولاء للوطن والأمة، وإحلال أفكار ولاءات جديدة محلها[18]. كما أن الثقافة الغربية تريد من العالم أجمع أن يعتمد المعايير المادية النفعية الغربية، كأساس لتطوره وكقيمة اجتماعية وأخلاقية، وبهذا فإنّ ما تبقى يجب أن يسقط، وما تبقى هنا هو ليست خصوصية قومية بل مفهوم الخصوصية نفسه، وليس تاريخا بعينه بل فكرة التاريخ، وليس هوية بعينها وإنما كل

الهويات، وليس منظومة قيمية بل فكرة القيمة، وليس نوعا بشريا، وإنّما فكرة الإنسان المطلق نفسه[19]. وهي اختراق البنية الثقافية المحلية، وتفاقم مخاطر الاستلاب والغزو والاستعمار الثقافي، بما يؤدي إلى محو الهوية الحضارية الثقافية للأمة المسلمة، ونزع الخصوصية الشخصية للشعوب المسلمة (التي تتمثل في الدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والأخلاق)، بما تنطوي عليه من الترويج لقيم معينة لحضارة معينة هي الحضارة الغربية[20].

وما تواجهه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر في غزوها الثقافي بأسلحته المتنوعة من كتب وإذاعات، وصحف ومجلات، ومسرح ومسلسلات، وانترنت، وحصص، وقنوات أقمار اصطناعية واتصالات وأجهزة متطورة مغرية من الناحية الصناعية وجذابة خارجيا، وغيرها من الوسائل الحديثة التي استعمله الغرب في الوصول إلى غاياته وأهدافه التي ركز من خلالها على نشر ثقافته وترسيخ الإعجاب بما حققه في مجال الصناعات المختلفة والمكاسب المادية في نفوس أغلب الناس، حيث لجأ للغزو والاستلاب والاختراق الثقافي جاعلا عالمنا هو هدفه الرئيسي ،فعمد على قطع روابط الإنسان المسلم بثقافته الإسلامية وتراثه الذي هو حصيلة جهد بشري متواصل، حافظت فيه الشعوب على خصوصيتها وهويتها المتفردة طوال قرون مديدة، فقد تعرضت شعوب المنطقة في كل مكان لغزو في فترات عديدة وفي جوانب الحياة الاجتماعية والخصوصيات الثقافية، وقد ركزت هذه الوسائل على مخاطبة الغرائز وضرب الأخلاق وتغريب الشباب المسلم، لكي يبقى دون هوية ودون تاريخ ودون دين، عن طريق أفلام الرعب والمغامرات ومشاهد ولقطات مشبوهة وصور جنسية فاضحة تثير الأنانية والغرائز والابتعاد عن كل ما هو وطني، وإلهاء الشباب عن القراءة وترغيبهم في تقليد الغرب والتخلي عن الثقافية للمجتمعات الإسلامية .

-إيديولوجيا وثقافيا:

إن الفكر الإيديولوجي اليوم أصبح يهدد كل مناقض له، ولا يسمح بالتعايش أو التنافس أو الحوار، فالمتشبعون بفكر إيديولوجي ما يرون الآخرين مشكلة في طريقهم فيجب إزاحتهم وبأي طريقة، ولقد تنبه الغرب اليوم لطريق أكثر تأثيرا وهي حشو عقول الآخرين بأفكار نيرة وجذابة تستوطن العقل بسهولة وذلك باستخدام أساليب مدروسة كاللغة الانجليزية المشحونة بأفكار سامة لغزو عقول الآخرين بغية السيطرة عليهم وتوجيههم حسب المرغوب فيه، وحالنا اليوم لا يخفي على أحد فألسنتنا غربت وعقيدتنا شوهت وتقاليدنا اندثرت، وقيمنا همشت وهشمت، فلا نكاد نستطيع المقارنة بين جيل الماضي القريب وجيلنا الحالي، فهناك تغيير وفارق شاسع في المبادئ والقيم بين الجيلين.

وقد تجلت آثار العولمة الثقافية في طمس معالم الثقافة الوطنية والإسلامية خاصة، وإظهارها بمظهر العاجز عن مسايرة الركب الحضاري، فيعتبر البعض أن اللغة العربية تعتبر لغة شعر

ولغة لتحفيظ القران الكريم لا غير، فهي لا تستطيع أن تنجز علما، وهذه القناعات منتشرة فعلا في أذهان البعض وهي حقيقة في نظرهم، وكأن اللغة هي سبب التطور لوحدها، غافلين بذلك عن أن الإنسان هو سبب تطور وازدهار اللغة وليس العكس، أما على المستوى العقائدي فحدث ولا حرج، فالانتساب إلى ديانات أخرى أصبح مفخرة للبعض مجاهرين به صباح مساء، وما حدث لانتهاك حرمات رمضان في وضح النهار لخير دليل على ذلك، فأصبح البعض جاهلا ومعتقدا أن الدين الإسلامي نزل على العرب فهم من لهم الحق في التقيد به ولا علاقة للآخرين به، إذن نقول إن العولمة الثقافية أثرت على المستوى الثقافي لغويا ودينيا،حيث يعتبر الغزو الثقافي التغريبي ذو الوجه القديم والجديد لا يزال قائما وأشد شراسة ضد الهوية الثقافية، وهذا بالحد من العناصر الأساسية للهوية الثقافية المتمثلة أساسا في لغة اللسان والعقيدة التي تعتبر كيان الإنسان ووجوده الروحي المكاني والزماني، وهذه الأمور تعبر عن الهوية، وفي هذا المقام يقول الشاعر الصقلي "إجنازيا بوتينا" في قصيدة تحت عنوان" لغة وحوار".

ضع شعبا في السلاسل
جردهم من ملابسهم
سد أفواههم لكنهم ما زالوا أحرارا
خذ منهم أعمالهم
وجوازات سفرهم
والموائد التي يأكلون عليها
لكنهم مازالوا أغنياء
إن الشعب يفتقر ويستعبد
عندما يسلب اللسان
الذي تركه له الأجداد
وعندها يضيع للأبد

- **روحيا:**

تفرض العولمة استراتيجية جزئية للإنسان فهي تريد مسخ ونزع الإنسان من الجسد بإبقاء الجانب المادي والجسدي للفرد، وذلك بإخلال التوازن والتكامل في الشخصية، فالعولمة الأمريكية تنتج الإنسان المادي الحيواني، وذلك بالقضاء على الجانب الروحي والنفسي والفكري، وهذا بإعادة صياغة الإنسان من جديد وتغيير خلقته وتغيير مفاهيمه الفكرية، بحيث تتأسس الثقافة المعولمة على حب الذات والفردانية بتحفيز المعالم الشخصية للفرد، والولاء للفكر المادي والتبعية للثقافة المادية الغربية التي لا تقيم وزنا للإنسانية[21].

والعولمة الثقافية التي تسعى إلى طمس القيم الروحية التي يتمتع بها الإنسان تجاه أخيه، وجعله ماديا بحتا يبحث عن المادة وذلك بالقضاء على الجانب العاطفي والفكري والنفسي، وبذلك يبتعد عن المجتمع وينزوي نحو الذات الفردية التي لا تقيم وزنا للإنسانية، حيث تتجسد هذه الأشياء في إلغاء القيم الاجتماعية التي سعت إلى المحافظة على الكيان

الاجتماعي طوال الفترات الزمنية السابقة حيث كان التكافل الاجتماعي سمة بشرية عالية.

-اقتصاديا:

إن التأثير الثقافي للغربيين على الدول المستضعفة والمتخلفة أو المصرة على التخلف يتجسد في المواد المصنعة ذات الصبغة الاستهلاكية الواسعة الانتشار، فالعولمة الثقافية أدت إلى تغيير هوية هذه الشعوب المغلوبة على أمرها، بالنشر على منتوجاتها صور وكتابات ونماذج تغري العقول والنفوس، فتدريجيا تنخر هذه القيم والسلوكيات المجسدة في المواد المصنعة ذاتية الإنسان وعقله ويصبح بعد مدة زمنية معينة متعايشا معها، ومتلهفا ومشتاقا لرؤيتها من جديد، خاصة أن هذه السلع لديها صفحات إشهارية على وسائل الإعلام المختلفة وبصيغة راقية تلفت النظر وتغري النفوس، وقد صدق" انجلز وماركس" قبل 150 سنة بقولهما:" إن السلع الغربية ستنتشر في أرجاء العالم ولا يستطيع أحد أن يقف في وجهها، ولو كان بمناعة سور الصين العظيم.

ومما ساعد على ذلك هو غياب بديل اقتصادي في بلداننا المستضعفة من ملابس وأغذية ومصنوعات تكنولوجية، وحتى إن وجدت هذه المصنوعات فإن أغلفتها وإشهاراتها تتم باللغات الأجنبية الفرنسية أو الانجليزية، وهذا ما يزيد الطين بلة لما يشعر الإنسان أن بلده والغرب لهم نفس اللغة، فيتأثر بسرعة ويقلد الغرب وتكون هويته قد تدهورت أو انحلت تماما.

-اجتماعيا:

إن العولمة الثقافية من خلال نشرها لأهدافها المعلنة تسعى لجعل العالم أكثر فردانية حيث تزول القيم الاجتماعية مثل التكافل والتراحم والتآزر، وتتقلص صلة الرحم، فالمهم بالنسبة للفرد هو العيش بحرية في محدودية قدرته الاقتصادية، وأنه غير مسؤول عن من هم أقرب إليه دمويا أو عرقيا أو دينيا، وقطع صلة الأجيال الجديدة بماضيها وتراثها، وتهميش كل ما يوحي بالتلاحم الاجتماعي، وهذه من صفات الماسونية العالمية، وبالتالي تتحقق فعلا مقولة" أُكِلتُ يوم أُكِل الثور الأبيض".

وواقعنا اليوم خير دليل على ذلك، فبرزت الماديات بشكل جلي، وتقلصت صلة الرحم وازدادت البغضاء بين الناس، وأصبح الجار لا يعرف جاره في اسمه وحاله، حيث كانت هذه الظاهرة إلى وقت غير بعيد من الأمور الغائبة، لذلك نقول إن العولمة الثقافية أثرت بشكل كبير في الجانب الاجتماعي وأدت إلى زعزعة التلاحم والتماسك الاجتماعي، وظهر التفكك الأسري وتفسخت الأخلاق وزاد نكران الجميل لمن لهم فضل في تربية النشء وتعليمه وتوجيهه، لكن بالمقابل زادت المحبة والارتباط بالممثلين والرياضيين والمغنيين.

-إعلاميا:

سخرت الدول الكبرى وسائل إعلامية ضخمة مكتوبة مسموعة ومرئية، وشبكات التواصل لتنفيذ خططها الهادفة لزعزعة الهوية في العالم، حتى أصبحنا

نلمس هذا في شوارعنا ومدارسنا ومؤسساتنا بالقول من نحن؟ ومن هؤلاء؟ وهل نحن حقيقيون وأصليون؟ أم وافدون؟ بل دخل هذا التشكيك حتى في أذهان مثقفينا، وأصبح الفرد يقول من نكون أعربا أو عجما؟ هل الدين الإسلامي ديننا أم هو دخيل علينا؟ فمنهم من يعتز بكونه علمانيا، وآخر بكونه شيوعيا، وآخر بكونه ملحدا، أما من الناحية اللغوية فهناك هروب من اللغة العربية من المواطن البسيط إلى أعلى مستوى في البلد، وكأن اللغة العربية هي سبب بلائنا وانحطاطنا، كما أصبح المتدين ينعت بالمتشدد أو الرجعي، وبالمقابل فالمقلدون للغرب في كل الأشياء هم المثقفون والواعون والحداثيون، وبهذا نقول قد نجح الغرب في خلخلة هويتنا العربية الإسلامية.

وقد لخص محمد مصلح الزعبي الآثار السلبية للعولمة الثقافية فيما يلي:

1- انتشار بعض الثقافات الغريبة على مجتمعنا العربي والإسلامي التي تتنافى مع القيم العربية والإسلامية؛ كالتفكك الأسري، الذي أضعف سلطة الآباء على الأبناء، واحترام الزوجة لزوجها، والحرية اللا مسؤولة للبنين والبنات.

2- التقليد الأعمى للغرب واللهث وراء ما يسمى بالموضة لمواكبة التطور واللحاق بركب الحضارة الغربية الموهومة.

3- التقليل من شأن التراث العربي والإسلامي وقطع صلة الأجيال بماضيها.

4- تعظيم شأن ثقافة السوق وسلب الخصوصيات الثقافية والوطنية.

5- التركيز على قضايا هامشية تخص الطفل والمرأة وحقوق الإنسان في دول العالم الثالث وتعظيم قدرها من أجل الانشغال بها عن القضايا الوطنية.

6- التركيز على الحرية الإعلامية والانفتاح وإنهاء الرقابة على وسائل الإعلام من أجل نشر الإباحية التي تؤدي إلى فساد الأخلاق والبعد عن الدين.

خلاصة:

إن الهوية بما تعنيه وخاصة الهوية الثقافية قد تعرضت، وتتعرض لخطر العولمة الثقافية، التي تعمل على محو آثارها من هذه المعمورة وخاصة في الشعوب المستضعفة التي لا تستطيع مسايرة هذه العولمة أو مواجهتها، ولعلى هذا الخطر يتضح يوما بعد آخر على المستوى الشعبي وعلى المستوى الاقتصادي والاجتماعي، فاليوم لا تكاد سلعة من السلع الاستهلاكية تنقطع من أسواقنا، فلا مجال لسلعنا على المنافسة حتى في عقر ديارنا، ناهيك عن المواد الثقافية التي تخترق ساحات منازلنا من أفلام ومسلسلات وإشهارات وجلسات رقص وغناء، فلا يمكننا أن نوقفها عن هذا الاختراق وهذا الولوج الكبير الذي أصابنا وأثر على كينونتنا الاجتماعية والعرقية والعقائدية.

إن العولمة الثقافية اليوم أخطر سلاح منذ القدم لأنها تغزو العقول وتهدم المبادئ والقيم الموروثة عن

أجدادنا، إنها الفيروس القاتل إن لم نحاول إيجاد مضاد لها، وذلك بمحاولة الاستفادة من إيجابياتها ومواجهة سلبياتها، بالرجوع إلى عقيدتنا المحصنة لنا ،والاعتزاز بلغتنا التي ينبغي تطويرها والاستثمار فيها، وهذا يتجلى في منظومة تربوية صحية تكون فيها القيم المجتمعية الأصيلة من (دين، لغة، تاريخ، انتماء واعتزاز) هي اللب في منظومتنا التربوية ،مع تكريس العدالة الاجتماعية التي تشعر المجتمع بكينونته ومكانته ودوره المجتمعي، فإذا أغفلت أبعاد التنمية الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تتضمن الهوية الثقافية والاستقلال السياسي سيؤدي إلى الانزلاق نحو التبعية؛ لأن شروط التنمية الناجحة وتسابقها مع التنمية الثقافية والاجتماعية من جهة واستقلاليتها من جهة أخر سيضمن النجاح والتخلص من مخلفات العولمة بكل أجنحتها، فالتبعية الثقافية أخطر من الاقتصادية، لأن التبعية الثقافية تتجه إلى رهن الإرادة والوطنية.

فلا مجال اليوم للهروب إلى الأمام وإنزال الرأس مثل النعامة، إما أن نكون وإما ألا نكون. أما إذا اعتقدنا أن الأمم القوية اليوم هي التي تساعدنا كما يلجأ بعض السياسيين في أوطاننا، فهي الأولى التي تخذلهم وتذلهم وتحتقرهم، فالتاريخ القديم والحديث يعلمنا أنه دون الاعتماد على الذات فمالك إلا السقوط والانحطاط والذل والمهانة فكريا وعقائديا ووجوديا.

فالتغني بالماضي وحده لا يكفي فيجب مسايرة الحاضر والطموح للمستقبل الزاهر، هذا الطموح يجب أن يكون مبنيا على أسس واضحة ومدروسة مستقاة من علمائنا ومفكرينا الذين تاهوا في بقاع العالم بحثا عن موطن أفضل يستطيعون فيه تفجير قدراتهم المذهلة، فالشعارات اليوم لم تعد تجدى نفعا والخطابات الرنانة لم يعد لها وجود في أذهان الشعوب، فاليوم الميدان العملي الفعلي أجدى من القول والخطاب.

المراجع:

1. جلال أمين: **العولمة والدولة، (العرب والعولمة)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998.
2. جلال أمين: "العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث"، **مجلة المستقبل العربي**، العدد 60.
3. جلال أمين: **العولمة**، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2010.
4. العلي أحمد عبد الله: **العولمة والتربية**، دار الكتاب الحديث، الكويت 2002.
5. تركي صقر: "الإعلام العربي وتحديات العولمة"، **الفكر السياسي**، العدد 16، وزارة الثقافة، دمشق،1998.
6. صمويل هانتنغتون: "الغرب وصدام الحضارات"، **جريدة أنوال المغربية**، تر (محمد سعدي)، عدد 10.
7. صموئيل هنتنغتون: **من نحن**، ت (حسام الدين خضور)، دار الرأي، دمشق.

8. أسعد السحمراني: **ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة**، دار النفائس، ط1 2002.

9. خليل، عماد الدين: تحديات النظام العالمي الجديد، موقع الإسلام على الطريق (www.islamonline.net/Arab).

10. محمد عابد الجابري: **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

11. محمد عابد الجابري "العولمة والهوية الثقافية: العرب والعولمة"، **مركز دراسات الوحدة العربية**، بيروت، 1998، ط2.

12. المهدي المنجرة: **حوار التواصل**، سلسلة شراع، ط 4، 1997.

13. برهان، غليون، **الإسلام في عصر العولمة**، مجلة جسور، السنة الأولى،2005 .

14. برهان غليون: **اغتيال العقل**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990.

15. نعيمة شومان: **العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة**، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1998.

16. عبد الودود مكروم: "قيم هوية وثقافة الإنماء، مدخل لتحديد دور التعليم العالي في بناء مستقبل الأمة العربية مناهج التعليم والهوية الثقافية"، **المؤتمر العلمي العشرون عين شمس**، مجلد 4،2008.

17. خليل، عماد الدين: **تحديات النظام العالمي الجديد**، موقع الإسلام على الطريق www.islamonline.net

18. سالم يفوت: "هويتنا الثقافية والعولمة"، **مجلة فكر ونقد**، السنة الثانية، العدد 11، بيروت، 1998.

19. محمد مصلح الزعبي: **العولمة الثقافية وأثرها على الوطن العربي**، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت

20. حجازي عزت: **الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها**، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1978.

21. عمر محمد الشيباني: **الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب**، دار الثقافة، بيروت، 1973.

22. معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية، **حالات فوضى: الآثار الاجتماعية للعولمة**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1997.

---

[1]–المهدي المنجرة: **حوار التواصل**، سلسلة شراع، ط 4، 1997، ص38.

[2] أسعد السحمراني: **ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة**، دار النفائس، ط1 2002، ص89.

[3] عبد الودود مكروم: "قيم هوية وثقافة الإنماء، مدخل لتحديد دور التعليم العالي في بناء مستقبل الأمة العربية مناهج التعليم والهوية الثقافية"، **المؤتمر العلمي العشرون** عين شمس، مجلد4، 2008، ص 1375.

[4] صمويل هانتنغتون: "الغرب وصدام الحضارات"، **جريدة أنوال المغربية**، تر (محمد سعدي)، عدد 10، ص10.

[5] برهان غليون: **اغتيال العقل**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص32.

[6] محمد عابد الجابري، "العولمة والهوية الثقافية: العرب والعولمة"، **مركز دراسات الوحدة العربية**، بيروت، 1998 ط2، ص297.

[7] سالم يفوت: "هويتنا الثقافية والعولمة"، **مجلة فكر ونقد**، السنة الثانية، العدد 11، بيروت، 1998، ص39.

[8] نعيمة شومان: **العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة**، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1998، ص40.

[9] محمد عابد الجابري: **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص147.

[10] حجازي عزت: **الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها**، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1978، ص33.

[11] عمر محمد الشيباني: **الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب**، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص19.

[12] جلال أمين: **العولمة**، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2010، ص ص55-56.

[13] تركي صقر: "الإعلام العربي وتحديات العولمة"، **الفكر السياسي**، العدد 16، وزارة الثقافة، دمشق،1998، ص204.

[14] معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية، **حالات فوضى: الآثار الاجتماعية للعولمة**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1997، ص06.

[15] أسعد السحمراني: **مرجع سابق** ص 82-83.

[16] العلي أحمد عبد الله: **العولمة والتربية**، دار الكتاب الحديث، الكويت 2002، ص21.

[17] خليل، عماد الدين: **تحديات النظام العالمي الجديد**، (www.islamonline.net/Arab).

[18] جلال أمين: **العولمة والدولة، (العرب والعولمة)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998، ص156.

[19] نفس المرجع ص100.

[20] برهان، غليون، "الإسلام في عصر العولمة"، **مجلة جسور**، السنة الأولى،2005، ص16.

[21] أسعد السحمراني: مرجع سابق، ص09.

المستشفى كمنتج لمجتمع المصابات بسرطان الثدي

-دراسة سوسيولوجية لعينة من المصابات بمركز CPMC بالجزائر-

د. محسن عبد النور
أستاذ محاضر-جامعة الجزائر2-
قسم علم الاجتماع الديمغرافي

ملخص:

تتمحور هذه الدراسة حول تسيير المرض، الاستشفاء والعلاج من طرف المصابة بسرطان الثدي وذلك في ضوء العلاقة مريض-مريض وما ينتج عنها من تفاوض ما بين المصابات داخل المستشفى والذي يؤدي إلى بناء نموذج عمل تسيير المرض في إطار خصوصيات المجتمع الجزائري الاجتماعية والثقافية.

Résumé :

Cette étude porte sur la prise en charge de la maladie, l'hospitalisation et le traitement du cancer du sein, et cela à la lumière de la relation patient-patient et les négociations qui ont abouti entre les malades à l'intérieur de l'hôpital, ce qui conduit à la construction d'un modèle de travail de gestion de la maladie dans le contexte des spécificités de la communauté sociale et culturelle algérienne.

مقدمة:

لقد تعددت مفاهيم وتعاريف المستشفى منذ ظهورها وتطورها عبر العصور والحضارات وكان يدور محتواها عموما حول علاج المرضى وإيوائهم والتكفل بهم، إجراء البحوث الطبية بغرض التقدم في وسائل العلاج، تدريب الأطباء والممرضين وجل العاملين في المجال الطبي، الدور الإيجابي في المجتمع من خلال نشر الثقافة الطبية والوقاية من الأمراض.

وإلى جانب هذه التعاريف المختلفة نجد أيضا أن الكثير من العلماء والباحثين تطرقوا أيضا إلى الجانب الاجتماعي لهذه المؤسسة والذي يتجسد عموما في تلك الأدوار الاجتماعية التي ينتجها ذلك الاتصال والتفاعل الحاصل بين الأطباء والمرضى أثناء تسيير العملية العلاجية. وخصوصا في صنف الأمراض المزمنة والتي تتطلب استشفاء طويل المدى وهذا ما ينتج عنه لا محالة علاقات اتصالية بين كل الفاعلين في السيرورة العلاجية بداية بالعلاقة: أسرة-مريض ومرورا بالعلاقة: طبيب -مريض ووصولا عند العلاقة: مريض-مريض وهذه الأخيرة التي سنركز عليها في دراستنا هذه.

1.الإشكالية:

لقد أسهب الاهتمام بدراسة الأبعاد الاجتماعية

للصحة والمرض في ظهور العديد من التصورات النظرية وهذا نتيجة التقارب الذي حصل بين الطب وعلم الاجتماع.

وفي مقدمة تلك التصورات نجد الطرح الذي قدمه عالم الاجتماع الأمريكي تالوكت بارسونز Talcoltt Parssonsإذ يعتبر من رواد التحليل السوسيولوجي للمرض والطب وهو أول من قام بدراسة وضعية المريض والطبيب والأدوار الناتجة عن هذا التفاعل[1] وإلى جانبه نجد أيضاً النظرية التي قدمها أليوت فردسون Iliot Fredson والتي ركز فيها على العمل الطبي وذلك من خلال علاقة السلطة الطبية في تحديد الاعتراف الاجتماعي للمرض[2].

ولا يجب إغفال الذكر حول ارتباط هذين النظريتين بدراسة الأمراض الحادة والتي كانت سائدة آنذاك. وبعد ذلك تم القضاء عليها وهذا بفضل اكتشاف المضادات الحيوية أما بعد الحرب العالمية الثانية فلقد ظهر نوع آخر من الأمراض والتي اتخذت صفة الإزمان لها والتي كانت بدورها موضوع اهتمام الكثير من العلماء والباحثين وفي مقدمتهم نجد عالم الاجتماع الأمريكي أنسليم ستراوس Anslem Strauss والذي انطلق في دراسة من خصوصية تلك الأمراض المزمنة، حيث أن صفة الإزمان تجعل المرض يمتد إلى مجموع طبقات الحياة الاجتماعية، المهنية والأسرية وهذا في إطار تفاوض وتفاعل مستمرين[3].

وانطلاقا من هذا الطرح الأخير نستطيع القول بأن تسيير المرض، الاستشفاء والعلاج الخاص بمرض سرطان الثدي والذي سيتم في إطار سوسيولوجي محض وذلك من خلال محاولة فهم مختلف الأفعال والتفاعلات والاتصالات التي تنتج من خلال هذا التسيير وفي إطار تفاوضي أين سنركز بالضبط على العلاقة التفاعلية: مريض- مريض من خلال التساؤل التالي:

- ما طبيعة العمل التسيير الاتصالي الذي تعتمد عليه المصابة بسرطان الثدي في بناء النموذج التفاوضي مع باقي المصابات خلال المرحلة الاستشفائية والعلاجية؟

2. الفرضيات:

1- قد يكون مجتمع المصابات بسرطان الثدي من المجالات البديلة أو المضافة إلى الطب الرسمي والذي يدخل في عمل التسيير الخاص بمرض سرطان الثدي.

1- Parsons (Talcott): Elément pour une sociologie de l'action, traduction de Bourricaud (François), Paris, 1955, P 252.

2- Paszanger (Isabelle): Les maladies chroniques et leur ordre négocié, revue française de sociologie, XXVII, 1986, P8.

3- Strauss (A): La Trame de la Négociation, Sociologie qualitative et interactionnisme, Anselm L Strauss, textes réunis et présentés par Isabelle Paszanger, Paris, ed: l'Harmattan, 1992, P 38.

2-يساهم مجتمع المصابات بسرطان الثدي في تبني تصورات وتمثلات من شأنها تحديد نماذج التسيير والتفاوض أثناء المرض، الاستشفاء والعلاج.

3. منهج البحث والتقنيات المستخدمة:

لقد تبنت الدراسة المنهج الكيفي والذي يعتبر أسلوبا مناسبا لفهم الوقائع واكتشافها أين يهدف إلى اكتشاف ومحاولة فهم ميدان وعمل تسيير مرض سرطان الثدي وهذا في ضوء التفاوض القائم في العلاقة مريض-مريض وهذا داخل مجتمع المصابات بسرطان الثدي والذي تكون داخل المستشفى.

أما فيما يخص تقنيات جمع المعلومات والتي تتناسب ودراستنا الكيفية هذه فلقد اعتمدنا على الملاحظة والتي تعتبر "تقنية مباشرة للتقصي والتي تستعمل عادة في مشاهدة مجموعة ما) قرية، جمعية ...إلخ) بصفة مباشرة وذلك بهدف أخذ معلومات كيفية من أجل فهم المواقف والسلوك[1].

ولقد تدعمت هذه التقنية باستخدام شبكة الملاحظات اليومية والتي تملأ بفضل الاستعانة بأعضاء الأسرة وأعضاء السلك الطبي وهذا لما تفيدنا في فهم الاتجاهات الخاصة بالحالات المدروسة.

وإلى جانب الملاحظة نجد السير الحياتية والتي هي مجموعة من المقابلات التتابعية والمعمقة يجريها الباحث مع المبحوث قصد معرفة المسار المراد دراسته. ولقد سماها ستراوس البيوغرافيا الحياتية[2].

ولقد قمنا بإجراء هذه التقنية مع مجموعة من المصابات بسرطان الثدي وهذا بهدف تحليل أوضاعهن من خلال دراسة مراحل المرض، الاستشفاء والعلاج وإن الهدف من هذا كله هو الكشف عن كل المتغيرات والتطورات المتعلقة بكل حالة ولقد اشتملت هذه البيوغرافيا الحياتية على عدة مواضيع كانت محل اهتمام دراستنا بينما هناك مواضيع أخرى تحدثت عنها أغلبية المبحوثات من تلقاء أنفسهن وهذا ما أثرى الدراسة من الناحية التحليلية.

4. الاستشفاء طويل المدى – خلق عالم اجتماعي:

إن ظروف المرض، الاستشفاء والعلاج المتبع وما ينتج من آثار على المستوى الجسمي[3]، العلائقي والاجتماعي وخاصة تلك الآثار المتعلقة بالحرمان من الوسط العائلي والاجتماعي[4] بصفة عامة قد يجعل المصابة بسرطان الثدي اللجوء إلى البحث عن البديل لهذا الحرمان. ونظرا لتغير العلاقة القائمة

1- موريس أنجرس: **منهجية البحث في العلوم الإنسانية**، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 38.

2- Paszanger (I),opcit, P 22.
3- Schilder (P): l'image du corps, Gallimard, Paris, 1968, p 231.
4- Joseph-Jearmeney (B) et autres: autour du malade, Ed: Odile jacsb, 2002, P108.

بين المصابة وأسرتها، وكذا الأهل، الجيران والأصدقاء إلى الظرفية وهذا جراء الاتصال المحدود والذي غالبا ما يحدث فقط أثناء الزيارات الاستشفائية، أو أثناء خروج المصابة لعطلة النقاهة المنزلية والرجوع من جديد إلى المستشفى من اجل مواصلة العلاج ونظرا لانحصار العلاقة القائمة بين هذه المصابة وبين أفراد الطاقم الطبي في موضوع المرض، الاستشفاء والعلاج والنقاهة وقد لا تتعدى أحيانا سقف الاستشارة الطبية. وعليه فقد لا يبقى للمصابة بسرطان الثدي سوى باقي المصابات بسرطان الثدي واللواتي لازلن يواصلن الاستشفاء والعلاج معها في نفس المصلحة وهذا خلال مرحلة استئصال الثدي وكذلك خلال مرحلة تلقي العلاج الكيميائي والإشعاعي ولكن تبقى المرحلة الأولى من الاستشفاء

-مرحلة الاستئصال-من أهم المراحل التي يتكون فيها مجتمع المصابات بسرطان الثدي والذي ستظل علاقات تفاعلاته مستمرة حتى بعد انتهاء مدة العلاج بل سيمتد عمل تسييره إلى غاية رجوع معظم المصابات إلى حياتهن الاجتماعية الأصلية.

وإن من أهم أسباب سهولة ذلك الاحتكاك والاتصال حسب تصريحات الحالات المدروسة وكذلك تصريحات أفراد الطاقم العلاجي فإنه يرجع إلى عدة عوامل أساسية نذكر منها على سبيل الحصر ما يلي: وجود المصابات في المستشفى لنفس الغرض وهو الاستشفاء والعلاج، المشاركة أيضا في نفس نوع المرض وهذا ما سيخلق حتماً الحياة الاجتماعية أثناء مدة الاستشفاء، كما سيعزز الشعور بالمشاركة الجماعية لنفس المرض ونفس الوضعية-الاستشفاء-وبالتالي تعويض النقص الحاصل جراء الحرمات من الأسرة ومن الحياة الاجتماعية بصفة عامة.

5. تفاعلات مجتمع المصابات من حيث موضوع المرض والعلاج:

إن أولى تلك التفاعلات قد تظهر عند المصابة بسرطان الثدي حديثة الاستشفاء والتي تكاد تكون وضعيتها صعبة نوعا ما وذلك بحكم عدم درايتها التامة بأجواء الاستشفاء[1] وطرق العلاج وحتى كيفية التفاعل مع أعضاء الطاقم العلاجي وأول المصادر التي قد تكون هامة بالنسبة للمصابة حديثة الاستشفاء نجد مجتمع باقي المصابات واللواتي لازلن يتابعهن العلاج والاستشفاء حيث لديهن الخبرة والتجربة في الميدان نتيجة مرور فترة معينة من استشفائهن ونتيجة الاحتكاك أيضا بأعضاء الفرقة المعالجة من قبل وقد يكون الحصول على هذه المعلومات والخاصة بالمرض والاستشفاء وبالعلاج من الفرقة المعالجة أمراً صعب المنال نظراً للرأسمال الثقافي الذي تحمله أغلب المصابات والذي يحول دون الوصول إلى تلك المعلومات الطبية، ضف إلى ذلك عدم وجود الوقت الكافي لتقديم التوضيحات الكافية من طرف الطاقم العلاجي للمصابات واقتصاره فقط على الإيضاح الظرفي أي التفسير

1- Pequignot (H), Gatard (M): l'hôpital et l'humanisation, ed : P.D.F, Paris, 1976, p 76.

عند وصول كل مصابة إلى أي مرحلة من مراحل المرض، العلاج أو الاستشفاء وبالمقابل لهذا كله يظهر هنا عامل التسيير الذي تقوم به باقي المصابات وهذا من خلال تقديم المساعدة وهذا ما سيعزز لا محالة درجة الاحتكاك والتفاعل فيما بينهن.

ومن خلال السير الحياتية التي أجريت مع الحالات المدروسة تبين لنا قوة درجة ذلك التواصل والتفاعل بين أغلب المصابات وهذا إما في فترة إجراء عملية الاستئصال أو في فترة جلسات تلقي العلاج الكيميائي والإشعاعي. وقد يزيد ارتباط ودرجة هذا التواصل والاحتكاك وفق الفترة الزمنية التي ترافقت فيها تلك الحالات أثناء الاستشفاء، أضف إلى هذا الاشتراك أيضا في نفس الغرف الاستشفائية والاشتراك في نفس المواعيد المحددة لجلسات العلاج الكيميائي والإشعاعي بل وحتى أثناء مواعيد المعاينة الطبية الدورية وهذا بعد الانتهاء من الاستشفاء والخروج من المستشفى.

6. أثر التفاعل بين المصابات في تبني تصور حول المرض والعلاج:

إن مجمل التفاعلات التي تدخل في إطارها المصابة بسرطان الثدي مع باقي المصابات أثناء الاستشفاء وتلقي العلاج من شأنها أن تساهم في تسيير هذين المرحلتين إذ وعن طريق الملاحظة والسماع المتبادل بين المصابات يستطيع أن يكون هناك نوع من التمرن على استراتيجيات جديدة لمواجهة المرض ولا يتم هذا طبعا إلا في إطار اجتماعي محض وهذا ما أكد عليه ستراوس Straurs في أطروحته أين ركز على دراسة المرض وعمل تسييره وفق المنظور الاجتماعي وليس البيولوجي[1].

إن تبادل التجارب المعاشة بين المشاركات في جماعات المصابات بسرطان الثدي أثناء الاستشفاء غالبا ما يسمح لهن بالتعرف وبعمق على حاجيات ومتطلبات المرض، الاستشفاء والعلاج، كما أن هذه الجماعة من شأنها أيضا المساعدة على خفض حدة الشعور بالنقص اتجاه الآخرين أين يعوضها الشعور بالمشاركة الجماعية لنفس وضعية المرض، العلاج والاستشفاء، وبعبارة أخرى فإن وجود المصابات بسرطان الثدي في المستشفى وتطلعهن إلى هدف الشفاء يعتبر من الأهداف الأساسية المشتركة بينهن بالإضافة إلى مشاركتهن أيضا في الشعور بنفس المعاناة جراء الحرمان الأسري والاجتماعي وجراء الآلام المترتبة عن الاستشفاء ومن خلال أساليب العلاج المتبع[2].

وقد ينتقل ويتطور الحديث من موضوع المرض والعلاج إلى عدة مواضيع أخرى قد تخص الجانب الشخصي، الأسري والعلائقي والاجتماعي لكل مصابة وهذا نتيجة التأقلم التام بين المصابات وهذا طبعا لا يتحقق إلا بوجود المصابات في نفس الفترة

1- Staurs (A): opcit, p 30.

2- سارة روزنتال: المرجع الأول حول سرطان الثدي، تر: فرج الشامي، 2001، ص 181، 184.

الزمنية من الاستشفاء والعلاج المتبع وهذا ما يعزز تحقيق هدف التأقلم الاستشفائي بالدرجة الأولى مع ضرورة التفاعل مع هذا المحيط الاستشفائي وذلك في ظل الحرمان من المحيط المعتاد.

وقد تبين لنا أيضا وإلى جانب الانشغال بموضوع المرض والعلاج والاستشفاء فإنه ثمة هناك مواضيع أخرى تكاد تكون مشتركة بين جميع المصابات وهي بمثابة صورة التفاعل الذي نتج بينهن-مجتمع المصابات- وقد تتحدد تلك الصور في الجلوس إلى مائدة الغذاء او القهوة او أثناء الفترة المسائية وخصوصا عند الالتفاف والسهر مع مصابة ما حينما تتعرض إلى مضاعفات صحية تمنعها من مغادرة السرير وهذه صورة من صور التضامن والتكافل، كما قد ينتقل الحديث أيضا إلى مواضيع الغياب عن المنزل واختلال النظام الوظيفي والعلائقي للأسرة، والانشغال بالأزواج والأبناء ومصيرهم العملي والمدرسي، ومن المواضيع الجديرة بالملاحظة والذكر نجد أيضا الحديث عن موضوع الانشغال بالمواسم والأعياد والمناسبات الاجتماعية وغياب المصابات عن تلك المواعيد، إضافة إلى مواضيع أخرى متفرقة والتي سيطرت على اتجاهات المصابات نحو وضعيتهن وكان الانشغال بها يعد عبئا إضافيا عليهن والذي من شأنه أن يضاعف حدة التوتر والضغط الذي تعرضن له.

ومن خلال هذا التحليل يتبين لنا أنه هناك نتائج أخرى لهذا الاحتكاك والتفاعل على إثر مجمل المواضيع التي أثارتها أغلب المصابات والذي على إثره أيضا ستبنى عدة تصورات حول المرض، الاستشفاء والعلاج وكيفية مواجهة هذه الوضعيات حيث أنه ووفق تلك التصورات تستطيع المصابة بسرطان الثدي أن تستخدم مجموعة من الاستراتيجيات التي تساعدها في عمل التسيير الخاص بالمرض، الاستشفاء والعلاج ومن أهم العوامل المساعدة على تحقيق ذلك نجد ما يلي: حصول المصابة بسرطان الثدي على معلومات أو ثقافة طبية وعلى خبرة لا بأس بها في مجال التمريض وذلك بفضل التواصل الدائم بينها وبين بقية المصابات حيث أن هذا الاستمرار في الاتصال من شأنه أن يجعل الاستفادة من هذه الخبرات أمر سهل التلقين مقارنة مع الاستفادة من هذه الخبرات مع أفراد الفرقة المعالجة. وإلى جانب هذا أيضا نجد أن الدخول في علاقة تفاعلية ما بين المصابات يمكن أن يخلق نوعا من التضامن المعنوي والمادي وهذا بفضل المجتمع الذي تكون داخل المستشفى وهذا ما سيساعد لا محالة في تسيير الاستشفاء والعلاج أين يتجسد النوع الأول من التضامن في الإعارة والمساعدة النقدية بين المصابات، تبادل الأدوية التي قد تكون نادرة وغير موجودة بالمستشفى. أما النوع الثاني فقد يتجسد في الزيارات المتبادلة والاتصالات الهاتفية ويصل حتى إلى وفاة إحدى المصابات أن يظهر هذا النوع من التضامن بدرجة أقوى. كما قد تزداد قوته أيضا عند الجماعات التي تكونت داخل مجتمع المصابات وهذا وفق الدخول في نفس الفترة إلى المستشفى.

إذن مجتمع المصابات بسرطان الثدي نستطيع القول بأنه يعتبر بمثابة العلاج النفسي الجماعي للمصابات وبطريقة غير مباشرة وغير رسمية.

7. الاستنتاج:

من خلال شبكة الملاحظات والسير الحياتية التي استخدمناها لفهم عمل تسيير مرحلة المرض، العلاج والاستشفاء وفي ضوء العلاقة مريض-مريض والتي أطلقنا عليها مفهوم مجتمع المصابات بسرطان الثدي توصلنا إلى أن:

- المرض والعلاج يمكن أن يترتب عنه عجزا ليس جسميا فحسب وإنما عجزا حقيقيا في قدرة المصابة على أداء دورها الاجتماعي ولكن بالمقابل لهذه المعاناة النفسية الجسمية والاجتماعية فإن هذه الوضعية الاستشفائية ستنتج عالما اجتماعيا وهذا بفضل التفاوض والتفاعل القائم بين جميع المصابات والذي من شأنه أن يساعد على التأقلم الاستشفائي والرضوخ للوضعية المرضية والاستشفائية والمساعدة أيضا على مواصلة العلاج أين يعتبر هذا المجتمع بمثابة البديل الأمثل لتعويض الحرمان الأسري والاجتماعي.

- من أهم العوامل المساعدة على التأقلم داجل مجتمع المصابات بسرطان الثدي نجد وجود المصابات داخل المستشفى لنفس الغرض وهو الاستشفاء والعلاج والمشاركة في نفس المرض وبالتالي تحقيق الشعور بالمشاركة الجماعية لنفس المرض ونفس الوضعية.

- ونتيجة التفاعل الحاصل بين المصابات داخل مجتمعهن فإن درجة الاتصال بينهن ستزيد إلى الأعلى وستصبح شبكة علاقاتهن جد قوية وبالتالي سيصبح الضبط الاجتماعي وتبادل المساعدة أكثر ارتباطا بعد أن كان أقل تفككا وأقل دوما في بداية الاستشفاء.

- وقد يتعزز هذا الارتباط أيضا من خلال تطور التأقلم ما بين المصابات من مواضيع المرض والعلاج إلى مواضيع الأسرة، الحياة الشخصية والمستقبلية لكل مصابة والذي يعتبر بمثابة العلاج النفسي غير الرسمي فيما بينهن.

- كما من شأنه أيضا أن يساعد مجتمع المصابات بسرطان الثدي في تبني تصورات وتمثلات نتيجة التفاوض والتفاعل القاسم بينهن والذي بدوره سيعزز استثمار العديد من الاستراتيجيات الدفاعية التي تساعد في بناء النموذج التسييري لمرض سرطان الثدي. ودون أن ننسى التضامن المعنوي والمادي الذي أفرزه هذا المجتمع والذي لا يقل أهمية عن بقية النتائج المذكورة أعلاه.

خاتمة:

إن كل الوضعيات الضاغطة التي أنتجها المرض، الاستشفاء، الجراحة والعلاج المتبع والتي خلفت بدورها أثارا على الناحية الجسمية، النفسية، الاجتماعية والعلائقية سيحدث لا محالة صراعا لدى تلك المصابات من جهة ولكن بالمقابل سيخلق من جهة أخرى عالماً اجتماعيا قد يكون بمثابة البديل

الأمثل والقوي للوسط الاجتماعي الخاص بهن وهذا ما سيعزز ويساهم في بناء وتسيير النموذج التفاوضي الخاص بمرض سرطان الثدي في الجزائر.

قائمة المراجع:

1- سارة رونتال: المرجع الأول حول سرطان الثدي، تر: فرج الشامي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2001.

2- موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

3- Joseph (J.B) et autres : Autour du malade, Paris, ODIL JACOB, 2002.

4- Pequegnat (H). Gatard (M) : Hôpital et humanisation, Ed : ESP. Paris, 1976.

5- Strauss (A) : La Trame de la Négociation, Sociologie qualitative et interactionnisme, Anselm L Strauss, textes réunis et présentés par Isabelle Paszanger, Paris, ed : l'Harmattan, 1992.

6- Schilder (V.P) : L'image du corps, Paris : Gallimard : 1968.

7- Parsons (T) : Elément pour une sociologie de l'action, traduction de Bourricaud (François), Paris, 1955.

8- Paszanger (I) : les maladies chroniques et leur ordre négocié, Revue française de sociologie, XXII, 1986.